دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة

أ.علي عـــدلاوي
قسم العلوم الإسلامية بجامعة / الأغـــواط

مقدمـــة:

ظل القرآن الكريم يتنزل في مكة المكرمة مدة ثلاثة عشر سنة كاملة يعالج موضوعا واحدا، هو موضوع العقيدة وغرس القيم الإيمانية، ولا ريب لما لهذه التربية النفسية من أهمية بالغة في صياغة العقلية الراشدة وبناء الشخصية المتوازنة والمتناغمة مع نداء الفطرة.

وقد أتت تلك التربية الطويلة ثمارها في عالم الواقع، فالتخبط الفكري الذي كان يعيشه الناس حينذاك استحال إلى رشد عقلي، والسلوك المنحرف الجاهلي عاد أصحابه إلى دعاة إلى الفضيلة والخلق السوي، والظلم الاجتماعي الذي عم أرجاء الجزيرة العربية-موطن الوحي-،تحول في وقت وجيز إلى عدل ورحمة...وهكذا فقد عملت العقيدة الصحيحة التي جاء بها الإسلام الحنيف على إنشاء جيل فريد،كان ولا يزال نموذجا للرشد والصلاح والتكافل.

والتاريخ الإسلامي على امتداده شهد على انتصارات للمسلمين في مناحي الحياة كلها:السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية..كل ذلك كان بسبب التمسك بعقيدة التوحيد،التي تفرض على أتباعها أن يسودوا الناس ويسوسوهم بالعدل والمحبة والعمل الصالح.

وإننا لعلى يقين بأن مفردات ومضامين تلك العقيدة الربانية، إن عمل المسلمون اليوم بمقتضياتها فسوف تعود إليهم مواريث النصر والتمكين.

ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نعالج موضوع: دور العقيدة في بناء الشخصية الفردية والجماعية للأمة المسلمة،والتي تمر بمرحلة حرجة من التخلف والضعف، آملين أن يسهم بحثنا المتواضع في إضافة لبنة لإصلاح البناء النفسي والاجتماعي للفرد والمجتمع على السواء.

ولذلك الغرض ارتأينا رسم خطة منهجية كالتالي:

1-مصطلحات ومفاهيم عنوان البحث:

أ/مفهوم العقيدة

ب/مفهوم الشخصية

2-خصائص العقيدة الإسلامية

3-وسائل الإسلام في غرس العقيدة

4-دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة

أ/دورها في بناء الشخصية الفردية

ب/دورها في بناء الشخصية الجماعية

5-الخـــاتمة

6-الهوامش، 7-المصادر والمراجع.

1-مصطلحات ومفاهيم عنوان البحث:

أ-مفهوم العقيـــدة[1]:

تتردد كلمة العقيدة على ألسنة الناس في محاوراتهم ومحادثاتهم كثيرا،فنراهم يقولون (أنا أعتقد كذا،وفلان عقيدته حسنة، والعقيدة الإسلامية السبب الأقوى في انتصار المسلمين في كل مكان وزمان...).

فماذا يراد من كلمة (عقيدة)؟وما معنى هذه الكلمة في اللغة؟ وما مفهومها في الشرع؟

***العقيدة في اللغة:** العقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس،وتطمئن إليها القلوب، فتكون يقينا عند أصحابها،لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك[2].

و(عقد الحبل) شد بعضه ببعض،نقيض حله،ومادة(عقد)في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق، ففي القرآن الكريم ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ المائدة: ٨٩ [3].

و(العقود)أوثق العهود، ومنه قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ المائدة: ١ [4].

والعرب تقول:اعتقد الشيء:إذا صلب واشتد.

***العقيدة شرعا:**العقيدة في الإسلام تقابل الشريعة،إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات.

والعقيدة ليست أمورا عملية، بل أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه، لأن الله أخبره بها بطريق كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد عبر عن العقيدة في اصطلاح المتكلمين بالإيمان تارة أو بعلم الكلام تارة أخرى.

فالإيمان عندهم في اللغة هو التصديق((يقال آمنت به وآمنت له،إذا صدقته، ومنه قوله تعالى﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ يوسف: ١٧ [5]،أي بمصدق،فالمؤمن بالله هو المصدق لله في خبره،وكذلك المؤمن بالنبي مصدق له في خبره..وفي الاصطلاح يقول أبو الحسن علي الأشعري: "إن الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام في أخبارهم، ولا يكون هذا التصديق صحيحا إلا بمعرفته"[6].

والإيمان الصحيح: اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان[7].

وقد جاء تعريفها بعلم الكلام بما ذكره العلامة عبد الرحمن بن خلدون في قوله:"هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[8].

وجاء تعريف علم الكلام عند حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال على النحو التالي:"علم مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش المبتدعة"[9].

***أصول العقـــائد:**جاءت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام(أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث الآخر)[10].يقول الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله:"ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه،في مادته وصورته،فيما كان يعلم صلى الله عليه وسلم هذا الدين بتلاوة القرآن عليهم وما بينه لهم من قوله وفعله وسيرته وسلوكه في مجالس تعليمه وفي جميع أحواله،فكان الناس يتعلمون دينهم بما يسمعون من كلام ربهم ويتلقون من بيان نبيهم،وذلك البيان هو سنة أصحابه والخلفاء الراشدين من بعده وبقية القرون المشهود لهم بالخيرية من التابعين وأتباع التابعين"[11].

لقد جاء القرآن الكريم مليئا بالآيات التي تتحدث عن قضايا العقيدة وبخاصة في السور المكية منه،لأنه في البداية كان يواجه شركا وكفرا، فكان لا بد أن يبدأ من هناك،يقول سيد قطب رحمه الله في مقدمة تفسيره لسورة الأنعام:"هذه السورة مكية من القرآن المكي،القرآن الذي ظل يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشرة عاما كاملة يحدثنا فيه عن قضية واحدة،ويعالج القضية الأولى والقضية الكبرى والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد(قضية العقيدة) ممثلة في قاعدتها الرئيسية: الألوهية والعبودية وما بينهما من علاقة"،وقد أشار العلماء إلى هذا الاهتمام من القرآن بقضايا العقيدة،فقال الإمام الرازي:"إن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة،وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين"،ويقول الإمام القشيري:"والعجب ممن يقول ليس في القرآن علم الكلام والآيات التي هي في الأحكام الشرعية نجدها محصورة،والآيات المنبهة على علم الأصول نجدها توفي ذلك وتربي بكثير"[12].

***حاجتنا إلى العقيـــدة:** إن الحاجة إلى العقيدة تربو عن الحاجة للطعام والشراب، ذلك أن الطعام قوام الجسد الفاني،أما العقيدة فهي بمثابة الغذاء للروح الخالدة الباقية ولو بعد الموت،وقد أدرك كثير من الفلاسفة والمفكرين هذه الحقيقة العظيمة، فهاهو السير وليام أوسلر يعبر عن ذلك فيقول: "إنها-أي العقيدة-قوة محركة عظيمة، لا توزن بأي ميزان،ولا يمكن تجربتها في المعامل"،ويقول فولتير:"لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخلقه"،أي نخترع للناس إلها يرجون رحمته ويخافون عذابه ويلتمسون رضاه،فيعملون الصالحات ويتجنبون السيئات، ويقول مرة أخرى- ساخرا-:" لم تشككون في وجود الله؟ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي"[13].

ولقد أكدت إحصائية أن ثمانين بالمائة من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضا ناتجة عن الأعصاب من ناحية أو أخرى، ويقول علم النفس الحديث:إن أهم جذور هذه الأمراض النفسية الكراهية والحقد والإرهاق واليأس والترقب والشك والأثرة والانزعاج من البيئة، وكل هذه الأعراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله عزوجل[14].

ب- مفهـــوم الشخصية:

يشمل مفهوم الشخصية جميع الصفات الجسمانية والعقلية والخلقية في حال تفاعلها،بعضها مع بعض، وتكاملها في شخص معين يعيش في بيئة اجتماعية معينة،أو هي صورة منظمة متكاملة لسلوك فرد ما يشعر بتميزه عن غيره.

وتتأثر الشخصية بالعوامل الحيوية والوراثة والبيئة والنضج والتعلم والثقافة والأسرة وجماعة الأقران ووسائل الإعلام ودور العبادة والأدوار الاجتماعية، ويكون تغيرها بالنمو أو بالتعليم والاكتساب، وقد يكون التغير ايجابيا وقد يكون سلبيا.

وإن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي أساس الشخصية المسلمة وسر قوتها وقوام حياتها ومفتاح حضارتها وباعث نهضتها[15].

2-خصائص العقيـــدة الإسلامية:

تعد العقيدة أشرف العلوم الإسلامية، وقد سمى العلماء مباحثها بأصول الدين، لأن كل العبادات والمعاملات لا تصح بدونها، وإن الحاجة إليها فوق كل حاجة، فهي بمثابة الروح للجسد والهواء للكائنات الحية، يقول الإمام الطحاوي رحمه الله:"إن علم أصول الدين أشرف العلوم،وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، لأنه لا حياة للقلوب إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله"[16]. ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري:"هذا الفصل – العقيدة الإسلامية-من أخطر هذه الفصول شأنا،وأعظمها قدرا،إذ حياة المسلم كلها تدور عليه، وتتكيف بحسبه، فهو أصل الأصول في النظام العام لحياة المسلم بكاملها"[17].

وقد اكتست تلك الأهمية البالغة لما تميزت به من خصائص فريدة ومزايا عظيمة، نجمل أبرزها في العناصر التالية:

أ-الربانيـــة: فهي مستفادة من كلام الله عزوجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن القرآن الكريم الذي حدد معالمها وأجلى غوامضها، ومن صحيح السنة النبوية، وهي بهذا الوصف تختلف عن سائر العقائد التي أملاها أصحاب الأهواء والمصالح، أو التي حرفها أهلها مثل اليهود والنصارى. يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "إن العقيدة إنما هي قضايا صادقة أو هي حقائق عن الوجود ورب الوجود،فليست العقيدة من قبيل ما نسميه في المنطق والبلاغة"إنشاء"، إنما هي من قبيل "الخبر"لأنها خبر عن القضايا الكبرى في الوجود: عن الله وأسمائه وصفاته،عن عوالم الغيب، عن مستقبل الحياة والإنسان، عن الجزاء وأنواعه وصوره،وغير ذلك مما وراء الطبيعة المشاهدة مما لا يدركه الحس،ولا يهدى إلى تفصيله العقل..ومن ثم لا يملك أن يخبر عن هذه القضايا إلا من يحيط بها علما،وليس ذلك إلا صاحب هذا الكون، وهو الله تعالى"[18].

ب-الوسطية: بين الماديين الملحدين الذين ينكرون كل ما يتعلق بما وراء الطبيعة، وبين الخرافيين الذين يتعلقون بأوهام ما أنزل الله بها من سلطان،كما أنها تجمع بين العقلاني والغيبي"فهي لا تعلي شأن العقل على النحو العلماني المضلل، كما لا تقر مقولة أن كل ما ليس عقلانيا فهو فكر غيبي،فالعقلية الإسلامية عقلية جامعة بين الغيبي (الروحي) والمادي في موازنة أصيلة"[19]. يقول الدكتور عماد الدين خليل-منتقدا الانفصام بين العلوم الإسلامية وعلوم الغرب المادية-:"المؤسسات المعنية بالعلوم أو المعارف الإنسانية،وتلك المعنية بالعلوم أو المعارف الإسلامية،حيث لم يتح لخريجي الأولى أن يتلقوا شيئا ذا بال من العلوم الإسلامية التي تمكنهم من التأصيل الضروري لما يتلقونه من علوم إنسانية، قدمت إليهم جاهزة من الغرب، بكل ما تنطوي عليه من تضاد-في بعض حلقاتها-مع أسس التصور الإسلامي ومقوماته،كما أنه لم يتح لخريجي الثانية أن يتلقوا شيئا ذا بال من العلوم الإنسانية التي تمكنهم من أن يكونوا في قلب العصر، ملمين بالحد الضروري من معارفه، قديرين على المشاركة في إعادة صياغته برؤية معاصرة، تملك في الوقت نفسه معاييرها التصورية التي تحفظ لها شخصيتها وتحمي خصوصيتها"[20].

ج-الوضـــوح: أوضحتها آيات الله المقروءة في الوحي القرآني والبيان النبوي الصحيح المتواتر، وكذا التوافق مع ما في الكون من دلائل وإعجاز، وقد جاء العلم الحديث ليفسر الحقائق التي تحدث عنها الله تعالى في كتابه العزيز، مثل علم الفلك الذي لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم ولا المسلمون من بعده سبيل إلى معرفته[21].

د-الشمـــول: أي أنها تقدم التصور الإسلامي للكون والوجود والحياة والمجتمع في منظومة كاملة، قائمة على مفهوم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من حيث الإيمان بالله تبارك وتعالى وكتبه ورسله وبالغيب والبعث والجزاء الأخروي.

ومن حيث التربية العقلية والنفسية فإننا نجدها تجمع بين التصحيح والترسيخ: التصحيح للعقائد والتصورات الفاسدة،مصداقا لقوله تعالى﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ محمد: ١٩ [22]، والترسيخ للقيم والمثل العليا، مصداقا لقوله عزوجل﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ [23].

د-الواقعيـــة: وتتجلى في صرف عقول الناس إلى النظر في الكون المادي الواقعي، والاستدلال به على وجود الله تعالى وعلى الإيمان بالغيب، حتى أن الحديث عن النعيم في الجنة والعذاب في الجحيم تناوله الخطاب الشرعي ممزوجا بين الروح والمادة،ولهذا كثر الترغيب والترهيب بذكر الطعام والشراب والحور العين ورؤية المولى جل وعلا، وكذا بذكر السلاسل والأغلال والزقوم والغسلين والطعام الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع[24].

3-وسائل الإسلام في غـــرس العقيدة الإسلامية:

يسعى الإسلام إلى غرس معاني العقيدة في نفوس أتباعه بطرق شتى،منها:

أ-طريق العبـــادات: سواء كانت فرضا أو نفلا،فبممارستها تتغذى الروح وتزكو النفس،فتتطهر بالصلوات من الفحشاء والمنكر ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ العنكبوت: ٤٥ [25]، وتتطهر بالزكوات والصدقات من الشح والبخل ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣ [26]،وفي رحلة الحج يتخلص المسلم من مظاهر التفاوت والطبقية والعنصرية والإقليمية...ولا يزال العبد المؤمن يترقى بالطاعات وصنوف العبادات حتى يصل درجة من يحبهم الله،ففي الحديث القدسي:(...ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،وبصره الذي يبصر فيه،ويده التي يبطش بها ،ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ،ولئن استعاذني لأعيذنه)[27].

ب-طريق الأخـــلاق والآداب: والعلاقة بين الإيمان والسلوك مذكورة في عدة مواضع من كتاب الله العزيز،فما ذكر الإيمان إلا مقرونا بالعمل الصالح،فلا إيمان بلا خلق..لا خلق بلا إيمان،ومن ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ الكهف: ١٠٧ [28]، ومنها قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧ [29]،يقول الشيخ محمد الغزالي:"...وقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتما،وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه،فالرجل الصفيق الوجه،المعوج السلوك،المقترف للرذائل جهارا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف حاله: (الحياء والإيمان قرناء جميعا،فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)[30]، والذي يؤذي جاره وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بعـــدم المؤمن: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمـــن، قيل: من يا رســـول الله؟ قال:الذي لا يأمن جاره بوائقه)[31]"[32].

ج-طريق التربية والتكـــوين: وتبدأ أولا من الأسرة،فالمدرسة والمسجد ثم البيئة التي يعيشها الفرد،سيما في مراحل طفولته الأولى، والحق أن الكل مسؤول في عملية التوجيه والإرشاد، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[33].

د-طريق الإعـــلام: من مسموع ومقروء ومرئي، كلها تساهم في غرس القيم الإيمانية بما تبثه أو تذيعه من برامج هادفة، أو بما تكتبه الصحف من مقالات بانية للفكر الرشيد ومحفزة على السلوك القويم.

ه-طريق التشريع: فللقانون كلمته عندما تستباح الحرمات جهارا، أو يدعى للكفر والإلحاد علانية، ففيه من التشريعات التي فصلها الإسلام ما يحفظ للمجتمع كلياته الخمس من دين وعرض ومال ونفس وعقل.

4-دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة:

تكتسي العقيدة أهمية بالغة في بناء الشخصية المسلمة، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، ففيه أخلاق وسلوكات لا غنى عنها ، ينبغي أن تسود، وليس هناك ما يوجدها إلا بالرجوع إلى معين التربية القرآنية والنبوية، والمتمثلة أساسا في غرس قيم العقيدة الإسلامية الصحيحة، فما الدور الذي تؤديه هذه العقيدة لبناء الشخصية المسلمة المتكاملة؟

أ–دورها في بناء الفـــرد:

*تحرر النفس من سيطرة الغير وحب الذات:

ففي عقيدة المسلم أن النافع والضار والمحيي والمميت والرازق والمعطي والمانع إنما هو الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الفرقان: ٣ [34]. وقال عزوجل ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧ [35]. وفي الحديث الشريف: (...واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك...)[36].

إن الذي عوق الأمة عن النهوض،وحال بينها وبين رقيها إنما هو الخوف من الموت والخوف على الرزق، والخضوع للاستبداد.

فالعقيدة تبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام واحتقار الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق والحرية، ذلك أن الإيمان يوحي بأن واهب العمر هو الله تعالى، وأنه لا ينقص بالإقدام ولا يزيد بالإحجام: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ آل عمران: ١٤٥ [37].

والعقيدة تقتضي بأن الله هو الرزاق، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ هود: ٦[38]

ومن ثمار هذه العقيدة تحرر النفس من البخل والشح والحرص والطمع، واتصافها بالجود والبذل والعفة.

*الطمأنينة والسكينة:

أثر من آثار هذه العقيدة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ [39]، وقال عزوجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ الفتح: ٤ [40]. ولا ريب أن النفس إذا اطمأنت وسكنت لقدرها الأعلى ورضيت بكل ما يصيبها من خير أو شر،فإنها لا تشعر بالجزع واليأس ولا تتندر بالخالق ولا تتشاءم بمخلوق.

*تربية الضمير الرقـــابي:

فتمتلئ النفس خشية ورقابة لله عزوجل، فإذا حدث وأن خلا المسلم بمال أو شهوة حرام فإن أعضاءه لا تمتد إليهما استحلالا وانتهاكا، وقد حدثنا التاريخ الإسلامي عن نماذج عظيمة في التقوى والورع ،من ذلك ما ورد أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد عليه "بريد من بعض الآفاق فانتهى إلى باب عمر ليلا، فقرع الباب فخرج إليه البواب فقال: أعلم أمير المؤمنين أن بالباب رسولا من فلان عامله، فدخل فأعلم عمر – وقد كان أراد أن ينام – فقعد وقال: ائذن له فدخل الرسول فدعا عمر بشمعة غليظة فأججت نارا، وأجلس الرسول وجلس عمر، فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد، وكيف سيرة العامل، وكيف الأسعار، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار، وأبناء السبيل والفقراء، وهل أعطى كل ذي حق حقه، وهل له شاك، وهل ظلم أحدا، فأنبأه بجميع ما علم الرسول من أمر تلك المملكة..حتى إذا فرغ عمر من مسألته قال له: يا أمير المؤمنين، كيف حالك في نفسك وبدنك؟ وكيف عيالك وجميع أهل خزانتك ومن تعنى بشأنه؟ قال: فنفخ عمر الشمعة فأطفأها بنفخته وقال: يا

غلام علي بسراج فدعي بفتيلة لا تكاد تضيء، فقال :سل عما أحببت.فسأل عن حاله فأخبره عن حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته، فعجب البريد للشمعة وإطفائه إياها وقال: يا أمير المؤمنين رأيتك فعلت أمرا ما رأيتك فعلت مثله. قال: وما هو ؟قال: إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك عن حالك وشأنك، فقال:يا عبد الله إن الشمعة التي رأيتني أطفأتها من مال الله ومال المسلمين،وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم، فكانت تلك الشمعة تقد بين يدي فيما يصلحهم، وهي لهم، فلما صرت لشأني وأمر عيالي ونفسي أطفأت نار المسلمين"[41].

*التحرر الفكـــري:

وهو أهم ما تسديه العقيدة لمعتنقها،ذلك أن الأسر الفكري والتيه العقائدي هو سبب كل هزيمة وتخلف،والشاهد ما كان يتخبط فيه المجتمع العربي الوثني من هوان وتبعية للفرس والروم، وتشرذم اجتماعي جعل منهم نهبة لكل طامع وطامح،ولكن بمجرد أن أشرقت شمس العقيدة الإسلامية إلا وقد تحرر ذلك المجتمع من عقابيله وأوهاقه، وانطلق كالأسد الأسير الذي فك قيده، لا يلوي على شيء ولا يتردد في استرداد حقوقه، بل وإحراز الكثير من المغانم المعنوية والمادية،يعبر عن ذلك أحسن تعبير الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه حين قال لملك الفرس: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" [42].

يقول الشيخ محمد الغزالي: "دخل الإسلام ناس، نريد أن نعرف الخصائص العقلية والنفسية لمن دخل الإسلام، وانشرح به صدره، حتى نعرف من هم المسلمون قبل الهجرة؟ ما خلائقهم؟ ما فضائلهم؟ ما الميزات الإنسانية التي توافرت فيهم ماديا وأدبيا حتى بدأ بمجتمع ما قبل الهجرة يتكون؟ أول ما نلحظه في المسلمين أنهم أصحاب تحرر عقلي، لم؟ لأن طبيعة الإيمان عندنا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم طبيعة تقدمية"[43].

وينجر عن هذه الحرية الفكرية حرية التعبير والنقد ، سواء أكان ذلك باللسان أو القلم "ولقد كان من آثار حرية الفكر هذه الذخائر الثقافية التي تزخر بها المكتبة الإسلامية في الفلسفة والمنطق والتوحيد والأصول والفقه والتصوف وعلوم الطب والكيمياء والطبيعة والهندسة والرياضة ..وغير ذلك مما كان سببا مباشرا في إقامة النهضة الأوربية المعاصرة"[44].

*الثبات أمام الفـــتن والمصائب:

تعتري المؤمن في هذه الدنيا ما لا يرضي النفس ،فربما يموت القريب،وربما يضيع المال، وقد يغير المعتدي على الوطن، وقد يتنكر الحبيب لعهد الوفاء، وغيرها من النكبات التي ربما أفضت بغير المؤمنين إلى رد فعل قد لا يحمد عقباه من كفر وتندر بالقدر وربما إلى الانتحار والعياذ بالله، وهنا يظهر دور العقيدة الصلبة، التي يستهين صاحبها بكل المحن، فيستقبلها بصدر رحب وقلب ممتلئ رضا وصبر ويقين. قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ – ١٥٧ [45].وقال عزوجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧ [46].

وفي القرآن الكريم قصة أولئك السحرة الذين واجهوا القتل ونفوسهم راضية، بعد أن اهتدوا للحق، قال تعالى: ((فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه

لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين))[47].

كيف تغيرت شخصيات هؤلاء المؤمنين الجدد ؟وكيف حدث هذا التحول الرهيب؟..لقد كانت همهم-قبل قليل- مشدودة إلى المال والجاه والقرب من السلطان، هذا منطقهم قبل أن يؤمنوا، ولكنهم لما ذاقوا حلاوة الإيمان كان جوابهم: ((لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات))..لقد تغير الاتجاه وتغير المنطق وفلسفة التصور للقيم والأشياء، وهذا هو صنع الإيمان..وفي الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول عنهم: "أصبحوا سحرة وأضحوا مؤمنين وأمسوا شهداء"[48].

ويحدثنا التاريخ الإسلامي عن ثبات الخنساء التي بكت أخاها صخرا في الجاهلية بكاء سارت به الركبان، وهاهي في عز الإسلام تفقد أبناءها الأربعة شهداء، فتستقبل ذلك بكل ثبات ورضى وهي تقول: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وإني لأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"[49].

وقد بلغ الرضا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه كان يشكر الله تعالى حين المصيبة،فكان يقول: "ما أصابني الله بمصيبة إلا شكرته عليها لثلاثة أسباب: الأول أنها لم تكن في ديني، والثانية أنها أهون من غيرها، والثالثة أنني أنتظر الثواب لصبري عليها"[50].

***معرفة غاية الوجـــود الإنساني:**

العقيدة الإسلامية الصحيحة تمكن معتنقها من معرفة الغاية من وجود الخلق، والرسالة المناطة بهم،والمصير الذي ينتظرهم بعد نهاية الرحلة على وجه البسيطة، خلافا للماديين والوثنيين والمحرفين لكتبهم المقدسة من اليهود والنصارى، فهؤلاء يعتقدون أن الحياة لهو ولعب وتكاثر في الأموال والأولاد والقوي يأكل الضعيف، ثم يتكفل الدهر بإهلاكهم وإفنائهم، وأنه لا حياة بعد الموت، فلا حساب ولا عقاب، وتصور مثل هذا يصير الحياة غابة،لا مكان فيها للضعفاء.

وهذا خلافا لمعتقد المؤمن الذي"لا يعيش في عماية، ولا يمشي إلى غير غاية، بل يسير على هدى من ربه، وبينة من أمره، واستبانة لمصيره، بعد أن عرف الله وأقر له بالوحدانية، إنه لا يقول ما قاله الشاعر الحائر المرتاب:

لبست ثوب العمر لم أستشر ** وحرت فيه بين شتى الفكـــر

وسوف أنضو الثوب عني،ولم ** أدر:لماذا جئت ؟ أين المفـــر

أو ما قاله الآخر:

جئت لا أعلم من أين *** ولكنـــني أتيت؟؟

كلا..فقد اتضحت وجهته الربانية، وعرف من أين جاء؟ ولم جاء؟ وإلى من فراره؟ وأين قراره؟ إن حسبه أن يقرأ من كتاب ربه ما رد به إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن على عبدة الأوثان فقال: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ الشعراء: ٧٧ - ٨٢ [51]...وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ، حتى تجد الله،وتؤمن به، وتتوجه إليه، هناك تستريح من تعب وترتوي من ظمأ،وتأمن من خوف،هناك تحس بالهداية من الحيرة والاستقرار بعد التخبط،والاطمئنان بعد القلق،ووجدان المنزل والأهل بعد طول الغربة، والضرب في أرض التيه.

فألقت عصاها واستقر بها النوى ** كما قر عينا بالإياب المســـافر"[52].

ب–دورها في بنـــاء المجتمع:

*التسامح ونبذ التعصب:

منذ إعلان عقيدة التوحيد التي تتضمن حرية المعتقد ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ البقرة: ٢٥٦ [53]، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ يونس: ٩٩ [54]، ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ الكهف: ٢٩ [55] حتى صار المجتمع الإسلامي مزيجا من الديانات، فقد عاش اليهود والنصارى وغيرهم جنبا إلى جنب مع المسلمين، بل وصل الأمر إلى ربط صلات مصاهرة بينهم، وتولى كثير من غير المسلمين وظائف سامية في الدولة الإسلامية، من ذلك أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه جعل سرجون بن منصور الرومي المسيحي كاتبه وصاحب أمره، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجيب النصارى دعوتهم إياه للطعام، فيأكل معهم ويعطيهم من طعامه الكثير، وقد كسب محبتهم وتقديرهم، حتى أنه عندما ألم به المرض سارع إليه أطباؤهم ومنهم كبير أساقفتهم يعالجونه، ولما مات بكوا عليه[56].

*مجتمع العـــدالة والمساواة(*):

تدعو العقيدة أصحابها إلى المحافظة على حقوق الناس وحفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم،كما تربي أتباعها على العناية بصيانة حريات الناس وكرامتهم، وتتخذ لذلك جميع الوسائل التي تصون هذه الحقوق المقدسة، ومن هذه الوسائل إقامة الحق، والعدل بين الناس، مما يشيع الطمأنينة وينشر الأمن في ربوع الدولة، وتشتد العلاقات بين المحكومين ، وبينهم وبين الحاكم، وتقوى الثقة، وتنمو الثروة، ويزيد الرخاء، وتستقر الأوضاع، وقد وردت النصوص الشريفة تحث على ذلك أيما حث، ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٢ [57].

2- وقوله عزوجل : ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ النساء: ٥٨ [58].

3- وقوله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ النساء: ١٣٥ [59]، والآية الكريمة تأمر بالعدل ولو كان في غير صالحنا وصالح أقرب وأحب الناس إلينا وهم الوالدان.

4- و يأمرنا الله بالعدل ولو مع أعدائنا ومخالفينا في الدين والمعتقد،فيقول: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨ [60].

5- وقال صلى الله عليه وسلم :(ما من أمير عشيرة إلاّ يؤتى به يوم القيامة مغلولا، حتى يفكّ عنه العدل أو ينفقه الجور)[61].

6-وقال صلى الله عليه وسلم : (الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار برئ الله منه وألزمه الشيطان) [62]

ولقد حفظ لنا التاريخ الإسلامي أروع النماذج في العدالة ولعل أبرز ما وردنا ما رواه أنس بن مالك – رضى الله عنه –:" أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم قال: عذت بمعاذ ، قال : سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته ، فجعل يضربنى بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ، ويَقْدم بابنه معه ، فقدم ، فقال عمر : أين المصرى؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر : اضرب ابن الأُلَيْمَيْن ، قال أنس : فضرب، فو الله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه ، ثم قال عمر للمصرى : ضع على

صلعة عمرو، فقال : يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذى ضربنى، وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو: مُذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟"[63].

وكان حفيده عمر بن عبد العزيز حريصا على تطبيق العدل، فكان يطلب من أهل الحكمة والرأي أن يصفوا له العدل، وكان من أولئك العالم الجليل محمد بن كعب القرظي الذي قال له:"سألت عن أمر حسن، كن لصغير المسلمين أبا، ولكبيرهم ابنا، وللمثل منهم أخا، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم، على قدر أجسامهم، ولا تضربنّ لغضبك سوطا واحدا تتعدى، فتكون عند الله من العادين"[64].

***مجتمع العزة و الكرامـــة(*):**

لقد كرم الإسلام الإنسان بغض النظر عن عقيدته أو لونه أو عرقه ، فالله عز وجل حباه بالعقل ليسترشد به طريق الحق، ويسخر به ما أنعم الله به عليه من كنوز الأرض وخيرات الكون كله، وقد جاء في القرآن الكريم أن الإنسان خليفة الله في أرضه، بعد تكريمه بإسجاد الملائكة له، وتعليمه الأسماء كلها، قال عزوجل: ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)) إلى قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ [65]،وقال -في موضع آخر-: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء: ٧٠ [66].

وإن هذا التكريم الإنساني ليس خاصا بجنس دون جنس، بل الجميع سواء في حق التكريم. وقد ورد في السنة الشريفة أنه مرت جنازة يهودي فوقف لها النبي، فقال له بعض أصحابه:"إنها جنازة يهودي"،فقال النبي الكريم:(أليست نفسا)[67].

***مجتمع الأخـــوة والوحدة(*):**

اعتبر الإسلام الناس كلهم أمة واحدة ، وأن أصلهم واحد، وهو آدم عليه السلام، وأن آدم من تراب، وقد صرحت كثير من النصوص الشريفة على ذلك المصدر الواحد،فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١ [68] .

وقد ذكر القرآن الكريم أن اختلاف اللغات والألوان مظهر من مظاهر الإعجاز الرباني في الخلق، وأنه لا يعني ألبتة التمييز بين البشر، فقال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ الروم: ٢٢ [69] ،ولذلك وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يعلن الحرب على النعرات الجاهلية التي تفرق بين الأبيض والأسود، ذلك حين عير أبو ذر بلالا الحبشي بسواد بشرته، عندما قال له": يا ابن السوداء"،فغضب النبي-وكان حاضرا-أشد الغضب قائلا :(يا أبا ذر إنك أمرؤ فيك جاهلية)[70]، ويؤكد هذا المعنى بقوله: (لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلاّ بالتقوى) [71]، بهذا الهدي النبيل ارتقى بلال إلى أسمى الرتب،حتى قال عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا"[72].

ومما يؤسف له أننا اليوم وبالرغم من مظاهر التحضر والتقدم في شتى المجالات لا زال هناك من يراعي تلك الفروق، مثال ذلك الدول الأوروبية وأمريكا، فهؤلاء لا يسمحون للسود باعتلاء سدة الحكم -وربما يكون باراك أوباما استثناء وشذوذا-، وقد ظل نظام الأبارتايد في جنوب إفريقيا ردحا من الزمن يهين السود ويحرمهم من أدنى الحقوق.

أما النظام النازي في ألمانيا بقيادة أودلف هتلر فكان يزعم أن الرجل الألماني ذو دم أزرق، وأن الجنس الآري الذي ينتمي إليه أفضل الأجناس، وأن عليه أن يستعبد العالم، وفي سبيل ذلك سقط ملايين القتلى، وكاد العالم يفنى لو استمـــرت تلك الحروب العالـــمية الجاهليـــة المعاصـــرة...أما اليهـــود فمـــن معتقداتهم الباطلة أنهم شعب الله المختار ، وأن الجوييم- غير اليهود -دواب. ومنذ سنوات قليلة تابع العالم على المباشر مأساة التطهير العرقي في كوسوفو، والذي ذهب ضحيته الألوف ظلما وعدوانا.

***مجتمع الحوار والتواصل(*):**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣ [73]، تنص الآية الكريمة صراحة على وجوب التواصل بين الشعوب، الأمر الذي يستدعي الاحتكاك السياسي والثقافي والاقتصادي...، والغرض هو إرساء دعائم مجتمع إنساني قوامه البر والخير.

والحوار مبدأ أصيل في الإسلام ،حيث أن الله عز وجل علمنا أن نتحاور مع المخالف لنا ولو كان الشيطان نفسه، وما حوار الله تعالى لإبليس-لعنه الله -إلا دليل على وجوب الحوار ،وكونه طريقا إلى التفاهم. ولنتأمل هذه الآيات التي يحاور فيها رب العزة إبليس-لعنه الله-: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾ ص: ٧٥ ـ ٨٥ [74].

والسنة القولية والعملية ناطقة بهذه المعاني الجليلة، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن أعرابيا جلفا جاء إلى رسول الله يتقاضاه فأغلظ له، فهم به أصحابه، فقال: (دعوه، فان لصاحب الحق مقالا).

ومن باب التواصل السياسي عقد النبي عدة معاهدات مع الكفار، الغرض منها مد جسور الحوار والدعوة، وكان من أظهر تلك المواثيق معاهدة صلح الحديبية، التي بفضلها دخل كثير من الناس إلى الإسلام، حتى سماها الله فتحا: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ ﴾ الفتح: [75].

***مجتمع التعـــاون والتضامن (*):**

ما أحوج أن تتكاتف الجهود وتحتشد الطاقات لإنجاز مشاريع الخير والتنمية في كل المجالات، فالحاجات والضرورات الأمنية والبيئية والصحية وغيرها أكثر من أن تحصى، ولا تستطيع أي دولـــة -مهما عظمت- أن تتكفل بمفردها بحل المعضلات التي أضحت تحمل طابع العالمية والعبور القاري، مثل معضلة الإرهاب العالمي ، والتلوث البيئي، والثلاثي الجهنمي الخطير:الفقر والجوع والمرض،الذي يفتك بالملايين من البشر[76]، وقد حث الله عز وجل عباده على التعاون فقال: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ المائدة: ٢ [77]، وبالرجوع إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم نجد أنه أسعف كفار قريش في مكة بأحمال القمح والشعير ،حين أصابهم الجوع والجدب، بل ونجده قبل الإسلام يشارك في حرب الفجار،التي تعاون فيها أهل الخير على القضاء على أهل الشر والفساد، وأيضا مشاركته في بناء الكعبة ،حين أصابها السيل الجارف...كل ذلك دليل على أن التعاون والتضامن من أجل الفضيلة والخير مبدأ عظيم من مبادئ التعايش السلمي بين الناس[78].

وبالنظر إلى السنة القولية فإننا نجد حشدا من النصوص الداعية إلى التكافل والتكاتف بين بني البشر جميعا، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) [79]، وقال: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) [80]، والأخ المقصود في الحديث الشريف ليس أخ الدين أو الدم، وإنما هو كل إنسان مهما كان جنسه أو دينه، وهذا خلافا لما يدعو إليه بعض منظري الحضارة المادية اليوم ، من الدعوة إلى صدام الحضارات، ووجوب أن يسيطر الرجل الأبيض.

الخـــــــــاتمة:

لقد كانت العقيدة وستظل معينا للمسلمين يستقون منها كل مقومات العزة والكرامة والسيادة، وما أحوج أمة الإسلام اليوم إلى الرجوع إلى تلك العقيدة التي كانت سببا في التحول التاريخي للعرب، الذين لولاها لبقوا على جاهليتهم وتبعيتهم للأمم الغالبة، وفي تاريخ المسلمين ما يظهر تلك الحقيقة، فإنه كلما ضعفت عقيدتهم كلما استحلهم عدوهم، فانتهك الأعراض وسلب الأموال وامتهن الكرامة وداس على المقدسات، وكنموذج على ذلك ما فعله التتار بالمسلمين حين تنافسوا على الملك وغرقوا في الشهوات، ولكنهم حين عادوا إلى عقيدتهم وتمسكوا بدينهم بقيادة المظفر قطز فسرعان ما تحرروا واستعادوا مجدهم السليب، وفي التاريخ المعاصر، وتحديدا في ثورة التحرير الجزائرية المباركة، فإنه لولا تمسك الشعب الجزائري بقيم دينه التي عمل على تقويتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين طيلة عقود من السنين، لما استطاع أن يحرز النصر والاستقلال.

وإن كثيرا من بلاد المسلمين اليوم وبالتحديد فلسطين وما فيها من مقدسات إسلامية تنتظر تحريرها من قبضة الصهاينة المعتدين والصليبيين والملاحدة والوثنيين، ولن يتحقق ذلك في تصورنا إلا بالرجوع إلى عقيدتنا الإسلامية الصحيحة،التي تفرض علينا الاتحاد والتكافل والوحدة، وذلك سر النصر والتمكين.

كما أننا في شتى مجالات الحياة: السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية..وغيرها في أمس الحاجة إلى من يخشى الله ويراقبه فلا يخون ولا يتهاون ولا يتوانى في خدمة أمته وبلده، ولن يتحقق ذلك إلا بالتمسك بمعاني العقيدة الربانية، والتي رأينا خطرها وفعاليتها في هذا المبحث المتواضع.

7-المصادر والمراجـــع:

*القـــرآن الكريم

*كتب السنة

[1]/الدكتور عمر سليمان الأشقر،العقيدة في الله،قصر الكتاب،البليدة،الجزائر(بدون سنة الطبع).

[2]/حسن البنا، العقائد،دار الشهاب،باتنة ،الجزائر،(بدون سنة الطبع)،بتصرف يسير.

[3]/الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي،كتاب أصول الإيمان،دار الآفاق الجديدة،بيروت ، لبنان،1401ه-1981م.

[4]/محمد عبد الله الخطيب،خصائص المجتمع الإسلامي،دار الصديقية،الجزائر،(بدون سنة الطبع).

[5]/مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون،دار الفكر،بيروت،لبنان،2007م.

[6]/ الدكتور يوسف القرضاوي،بينات الحل الإسلامي،مكتبة رحاب،الجزائر،ط2، 1989م.

[7]/الدكتور صلاح الدين شروخ،علم الاجتماع التربوي،دار العلوم للنشر والتوزيع،عنابة،الجزائر،2004م.

[8]/الدكتورة نادية شريف العمري،أضواء على الثقافة الإسلامية،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط1، 1401ه-1981م.

[9]/ عبد المنعم صالح العلى العزي ،أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة،الجزائر.

[10]/أبو بكر الجزائري،منهاج المسلم، نشر مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة،طبع دار الفكر،بيروت،لبنان ،ط1، 1421ه-2001م.

[11]/الدكتور يوسف القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام،شركة الشهاب،الجزائر،(بدون سنة الطبع).

[12]/الشيخ محمد الغزالي،خلق المسلم،مكتبة رحاب،الجزائر،ط15، 1408ه-1987م.

[13]/أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم،الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز،خامس الخلفاء الراشدين،تحقيق أحمد عبيد،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،1996م.

[14]/الشيخ محمد الغزالي،خطب الشيخ محمد الغزالي في الدين والحياة،إعداد قطب عبد الحميد قطب،مراجعة الدكتور محمد عاشور،مكتبة رحاب،الجزائر،ط1، 1408ه-1988م.

[15]/السيد سابق،عناصر القوة في الإسلام،دار الكتب العربي،بيروت،لبنان،ط2، 1398ه-1978م.

[16]/علي عدلاوي،الأمثال الشعبية ضوابط وأصول،منطقة الجلفة نموذجا،مراجعة بشير هزرشي،دار الأوراسية للطباعة والنشر والتوزيع،الجلفة،الجزائر،ط1، 1430ه-2010م.

[17]/صفي الرحمان المباركفوري،الرحيق المختوم،دار الكتاب الحديث،القاهرة،مصر،(بدون سنة الطبع).

*بحـــوث ومقالات:

[1]/الدكتور إبراهيم التهامي،حكم الاشتغال بعلم الكلام في الدفاع عن عقائد الإسلام،دار قرطبة،الجزائر،ط1،1427ه-2006م.

[2]/الدكتور إبراهيم التهامي،الجوانب العقدية في جهود الإمام ابن باديس الإصلاحية،دار قرطبة،الجزائر،ط1، 1427ه-2006م.

[3]/ الدكتور إبراهيم التهامي،العقيدة الإسلامية بين السلف والسلفية،دار قرطبة،الجزائر،ط1، 1427ه-2006م.

[4]/ الأستاذ أنور الجندي،الإسلام وتشكيل عقلية الأمة، مجلة الوعي الإسلامي،الكويت،العدد316،ذو القعدة-ذو الحجة1412ه،يونيه1992م.

[5]/الدكتور عماد الدين خليل،ورقة بحثية بعنوان:مرئيات للخروج من الأزمة،المقدم في المؤتمر العلمي الدولي المعنون ب:"التكامل المعرفي ودوره في تكمين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي،تلمسان-الجزائر:29ربيع الثاني-1جمادى الأولى1431ه الموافق 14-16أفريل2010م،والمنظم من طرف جامعة أبي بكر بلقايد/تلمسان والمعهد العالمي للفكر الإسلامي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[6]/موسى صاري،التربية الإسلامية في مناهج الحركة الكشفية،سلسلة المطبوعات الكشفية،الجزائر،الإصدار الأول2008.

[7]/علي عدلاوي،المصالحة السياسية والإصلاح الاجتماعي في خلافة عمر بن عبد العزيز ،مذكرة الماجستير،كلية العلوم الإسلامية،جامعة الجزائر،نوقشت بتاريخ18فيفري2008م.

[8]/أسس التعايش السلمي في وثيقة المدينة المنورة)،الصادر بمجلة "أنسنة للبحوث والدراسات" ،التابعة لكلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة زيان عاشور،الجلفة ،الجزائر، العدد الأول،جوان2010م.

*الأنتـــرنت:

/1 http://forum.islamstory.com

/2 http://nabulsi.com/brown/ar

الهـــوامش:

[1]/الدكتور عمر سليمان الأشقر،العقيدة في الله،قصر الكتاب،البليدة،الجزائر(بدون سنة الطبع)،ص9، 10.

[2]/حسن البنا، العقائد، دار الشهاب،باتنة ،الجزائر،(بدون سنة الطبع)،بتصرف يسير،ص7.

[3]/سورة المائدة/89.

[4]/سورة المائدة/1.

[5]/سورة يوسف/17.

[6]/الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي،كتاب أصول الإيمان،دار الآفاق الجديدة،بيروت ،لبنان،1401ه-1981م،ص247، 248.

[7]/محمد عبد الله الخطيب،خصائص المجتمع الإسلامي،دار الصديقية،الجزائر،(بدون سنة الطبع)،ص29.

[8]/مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون،دار الفكر،بيروت،لبنان،2007م،ص467.

[9]/الدكتور ابراهيم التهامي،حكم الاشتغال بعلم الكلام في الدفاع عن عقائد الإسلام،دار قرطبة،الجزائر،ط1، 1427ه-2006م،ص5.

[10]/ محمد فؤاد عبد الباقي،اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم،دار الحديث،القاهرة،مصر،1426ه-2005م، ص12.

[11]/الدكتور إبراهيم التهامي،الجوانب العقدية في جهود الإمام ابن باديس الإصلاحية،دار قرطبة،الجزائر،ط1، 1427ه-2006م، ص10.

[12]/ الدكتور إبراهيم التهامي،العقيدة الإسلامية بين السلف والسلفية،دار قرطبة،الجزائر،ط1، 1427ه-2006م،ص9، 10.

[14/13]/ الدكتور يوسف القرضاوي،بينات الحل الإسلامي،مكتبة رحاب،الجزائر،ط2، 1989م،ص51، ص56.

[15]/الدكتور صلاح الدين شروخ،علم الاجتماع التربوي،دار العلوم للنشر والتوزيع،عنابة،الجزائر،2004م،ص110،الدكتورة نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط1، 1401ه-1981م،ص63.

[16]/ عبد المنعم صالح العلي العزي ،أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي ،دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر،ص11.

[17]/أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، نشر مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة،طبع دار الفكر،بيروت،لبنان ،ط1، 1421ه-2001م، ص8.

[18]/الدكتور يوسف القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام،شركة الشهاب،الجزائر،(بدون سنة الطبع)،ص36.

[19]/ الأستاذ أنور الجندي،الإسلام وتشكيل عقلية الأمة، مجلة الوعي الإسلامي،الكويت،العدد316،ذو القعدة-ذو الحجة1412ه،يونيه1992م،ص54.

[20]/الدكتور عماد الدين خليل،ورقة بحثية بعنوان:مرئيات للخروج من الأزمة،المقدم في المؤتمر العلمي الدولي المعنون ب:"التكامل المعرفي ودوره في تكمين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي،تلمسان-الجزائر:29ربيع الثاني-1جمادى الأولى1431ه الموافق 14-16أفريل2010م،والمنظم من طرف جامعة أبي بكر بلقايد/تلمسان والمعهد العالمي للفكر الإسلامي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ص13.

[21]/الدكتورة نادية شريف العمري،أضواء على الثقافة الإسلامية،ص100.

[22]/سورة محمد/19.

[23]/سورة الرعد/28.

[24]/الدكتور يوسف القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام،بتصرف يسير،ص147.

[25]/سورة العنكبوت/45.

[26]/سورة التوبة/103.

[27]/رواه البخاري عن أبي هريرة.

[28]/سورة الكهف/107.

[29]/سورة النحل/97.

[30]/رواه الحاكم والطبراني.

[31]/رواه البخاري.

[32]/محمد الغزالي، لخلق المسلم،مكتبة رحاب،الجزائر،ط15، 1408ه-1987م،ص10.

[33]/رواه مسلم عن ابن عمر.

[34]/سورة الفرقان/03.

[35]/سورة يونس/107.

[36]/رواه الترمذي عن ابن عباس.

[37]/سورة آل عمران/145.

[38]/سورة هود/06.

[39]/سورة الرعد/28.

[40]/سورة الفتح/04.

[41]/أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم،الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز،خامس الخلفاء الراشدين،تحقيق أحمد عبيد،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،1996م،ص156، 157.

[42]/من محاضرة للدكتور راغب السرجاني من موقعه على الأنترنت: http://forum.islamstory.com، تاريخ التحميل: 2011/09/04

[43]/الشيخ محمد الغزالي،خطب الشيخ محمد الغزالي في الدين والحياة،إعداد قطب عبد الحميد قطب،مراجعة الدكتور محمد عاشور،مكتبة رحاب،الجزائر،ط1، 1408ه-1988م،ص151.

[44]/السيد سابق،عناصر القوة في الإسلام،دار الكتب العربي،بيروت،لبنان،ط2، 1398ه-1978م،ص141.

[45]/سورة البقرة/155-157.

[46]/سورة ابراهيم/27.

[47]/سورة الشعراء/41-51.

[48]/محمد عبد الله الخطيب،خصائص المجتمع الإسلامي،ص20.

[49]/موسى صاري،التربية الإسلامية في مناهج الحركة الكشفية،سلسلة المطبوعات الكشفية،الجزائر،الإصدار الأول2008،ص31،علي عدلاوي،الأمثال الشعبية ضوابط وأصول،منطقة الجلفة نموذجا،مراجعة بشير هزرشي،دار الأوراسية للطباعة والنشر والتوزيع،الجلفة،الجزائر،ط1، 1430-2010م،ص69، 70،خطبة الجمعة"غزوة بدر" رقم0256،لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي،بتاريخ1989/04/21 من موقعه على الأنترنت http://nabulsi.com/brown/ar/ تاريخ التحميل: 2011/09/04م.

[50]/الإمام البيهقي،شعب الإيمان،تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1410ه-1990م،رقم الحديث9845.

[51]/سورة الشعراء/77-82.

[52]/ الدكتور يوسف القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام ،ص10، 11.

[53]/سورة البقرة/256.

[54]/سورة يونس/99.

[55]/سورة الكهف/29.

[56]/علي عدلاوي،المصالحة السياسية والإصلاح الاجتماعي في خلافة عمر بن عبد العزيز ،مذكرة الماجستير،كلية العلوم الإسلامية،جامعة الجزائر،نوقشت بتاريخ18فيفري2008،ص114، ص116 ،117.

[57] /سورة الأنعام / 152.

[58] /سورة النساء /58.

[59] /سورة النساء /135.

[60]/سورة المائدة /08.

[61] /رواه البيهقي في سننه الكبرى،عن أبي هريرة،ج3،ص129،(باب كراهية الإمامة جملة)،رقم5128.

[62] /المصدر السابق نفسه،عن عبد الله بن أبي أوفى،ج10،ص134،(باب إنصاف القاضي في الحكم).

[63]/اخرجها ابن عبد الحكم في " فتوح مصر و أخبارها " صـــ 290 ، وأوردها محمد بن يوسف الكاندهلوى في " حياة الصحابة " (2 / 88) باب : عدل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

[64]/ علي عدلاوي،المصالحة السياسية والإصلاح الاجتماعي في خلافة عمر بن عبد العزيز،ص133.

[65]/سورة البقرة،من الآية30إلى الآية34

[66]/سورة الإسراء،الآية70

[67]/ رواه مسلم عن سهل بن حنيف.

[68]/سورة النساء،الآية01

[69]/سورة الروم،الآية22

[70]/ رواه البخاري،عن المعرور بن سويد،عن أبي ذر،ج1،ص20،(كتاب الإيمان-باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك)،رقم30.

[71]/ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد،عن أبي سعيد الخدري،ج3،ص266،(كتاب الحج-باب الخطب في الحج).

[72]/رواه البخاري عن جابر بن عبد الله.

[73]/سورة الحجرات،الآية13

[74]/سورة ص،الآيات من75إلى85

[75]/سورة الفتح،الآية01.

[76]/جاء في إعلان مبادئ القانون الدولي الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بالقرار (رقم2625،1970)،نص على أنه":ينبغي على الدول أن تتعاون فيما بينها لتعزيز الاحترام الدولي ومراعاة حقوق الإنسان ،والحريات الأساسية للجميع،ولإزالة التعصب الديني".

[77]/سورة المائدة، الآية2.

[78]/ صفي الرحمان المباركفوري،الرحيق المختوم،دار الكتاب الحديث،القاهرة،مصر،(بدون سنة الطبع).،ص52.

[79]/رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أنس بن مالك.

[80]/رواه مسلم عن أبي هريرة.

[*]اقتباس مع تصرف يسير من بحثنا المعنون ب(أسس التعايش السلمي في وثيقة المدينة المنورة)،الصادر بمجلة "أنسنة للبحوث والدراسات" ، التابعة لكلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة زيان عاشور، الجلفة، لجزائر، العدد الأول،جوان2010م،ص87، 88، 89، وص92، 93 ،94.